

الباب الثالث

تحليل تمثيل الاستعمار في القصة القصيرة "لا بحر في بيروت" لغادة السمان

أ. الخلفية التاريخية التي أسهمت في نشأة القصة القصيرة لا بحر في بيروت

تُحلّل الخلفية التاريخية التي أسهمت في نشأة القصة القصيرة لا بحر في بيروت للكاتبة غادة السمان في ضوء نظرية البنيوية التكوينية التي طوّرها لوسيان غولدمان، وذلك من خلال مفهوم الوقائع الإنسانية.

١. الوقائع الإنسانية

١.١ الأحداث

تتجلى ممارسات الاستعمار في القصة القصيرة لا بحر في بيروت من خلال الصراع النفسي الذي تعيشه الشخصية الرئيسة، إذ تنظر إلى البحر بوصفه رمزًا للحرية والعالم المثالي الذي لم تعرفه إلا عن طريق القراءة. وتصرّح الشخصية بأن البحر يمثل عالمًا مفعّمًا بالحب والتجدد والتنوع والنور، كما يتجلى في العبارة: «البحر المليء بالحب والتجدد والتنوع والضيء» (ص ١٣٠). غير أن هذا العالم لم تستطع أن تعيشه واقعًا بصورة مباشرة. ويشير ذلك إلى وجود قيود مفروضة على حرية الفرد، نابعة من بنية اجتماعية وثقافية تحدّ من انطلاقه. ومن ثمّ، يغدو البحر، بوصفه رمزًا للحرية، أمرًا بعيد المنال وعسير الوصول، بحيث لا يتجلى الاستعمار في هذه القصة في صورة احتلال عسكريٍّ أو ماديٍّ، وإنما يظهر من خلال السيطرة على الفضاء المعيشي، والخبرة الإنسانية، ووعي الإنسان. ويتضح ذلك في البيانات الآتية:

النص الأصلي (ص. ١٣٠)

«لأن فيها البحر.. البحر القديم الذي ليس ديراً كبيراً ولا
امرأة مزيفة.. البحر المليء بالحب والتجدد والتنوع والضياء..
إنه عالمي الكبير الذي قرأت عنه دون أن أعيشه.. الفردوس
المفقود لروسو ودانتي و...»

استناداً إلى النتائج السابقة، تتجلى ممارسات الاستعمار في الصراع النفسي الذي
تعيشه الشخصية، إذ نشأت في بيئةٍ ديريةٍ وفي ظل تربيةٍ دينيةٍ ذات طابعٍ استعماريٍ حدّت
من حريتها. ويغدو البحر، بوصفه رمزاً للحرية والعالم الحديث، شيئاً «محظوراً»، الأمر الذي
يكشف عن الكيفية التي مارست بها السلطة الاستعمارية والأبوية تقييد وصول الفرد إلى المعرفة
وإلى الخبرات الحياتية. ومن ثم، فإن الاستعمار في هذه القصة لا يظهر في صورة احتلالٍ ماديٍّ
مباشر، وإنما يتجلى من خلال الهيمنة على الخطاب والفضاء الاجتماعي.

وتجري الأحداث التي تُجسّد مظاهر الهيمنة الاستعمارية في فضاء مدينة بيروت، التي
تُصوّر مدينةً تجمع بين السحر والتناقض في آنٍ واحد. فقد صوّرتها عادة السمان مدينةً نابضةً
بالحياة وآسرةً للألباب، كما يتضح في الوصف : (بيروت جنية أسطورية)، وكذلك في تصويرها
مدينةً تعج بالحياة في شوارعها وأزقتها (ص ١٣٢). غير أن هذا الجمال الظاهر يخفي وراءه
أشكالاً متعددة من التفاوت والاعتزاب. ومن خلال هذا الفضاء الحضري، تُبرز عادة السمان
أن المدينة في مرحلة ما بعد الاستعمار ما تزال تحمل آثار الإرث الاستعماري الذي يواصل
تأثيره في حياة المجتمع. فبهاء المدينة لا يتجاوز المظهر الخارجي، في حين يظل الوصول إلى

الحرية والفضاء العام خاضعاً لقيود البنية الاجتماعية غير المتكافئة. ويتضح ذلك في البيانات الآتية:

النص الأصلي (ص. ١٣٢):

«بيروت..... وتراها من بعيد بينما السيارة تنحدر نحوها..
بيروت جنينة أسطورية تنفث الضباب نحو الجبال.. تتعري من
غلا لا تها.. تنبسط مغرية مثيرة غامضة العري.. تكاد تسمع
لشوارعها نبضات القلب الحي.. لكأن في الاسفلت، في الأزقة
الغامضة، في البيوت المتدثرة بأسرارها وهجماً وحرارة وحياة..»

استناداً إلى البيانات السابقة، تقع أحداث الهيمنة الاستعمارية في الفضاء الحضري لمدينة بيروت، بوصفها مدينة ما بعد استعمارية أصبحت ساحةً لصراع الهوية. فقد صُوِّرت بيروت مدينة نابضة بالحياة، لكنها في الوقت نفسه تخفي تناقضات عميقة؛ فهي تجمع بين الجمال الأسر والواقع الاجتماعي القائم. كما يعكس فضاء المدينة، بما يضمه من أزقة ضيقة، وشاطئ محاطٍ بالأسوار، وفضاءات عامة محدودة، بقايا الإرث الاستعماري الذي حوّل الفضاء العام إلى سلعة، وقيد وصول المجتمع إلى الحرية.

وتبدأ ملامح الوضع الاستعماري في الظهور عندما تصل الشخصية الرئيسة إلى بيروت وتحاول العثور على البحر الذي ظل يمثل بالنسبة إليها رمزاً للحرية. وكانت تؤمن بأن البحر ما يزال موجوداً، وتقول: البحر لا بد من أن يكون في مكان ما (ص ١٣٥-١٣٦). ويعكس هذا التصريح حجم الأمل الذي كانت تحمله الشخصية في بلوغ الحرية التي طالما سعت إليها. غير أن رحلة البحث قادتها إلى إدراك أن البحر قد فقد المعنى الذي رسمته له في مخيلتها.

ويشكّل هذا الإدراك نقطة الانطلاق في نقد الواقع ما بعد الاستعماري، حيث يتبين أن الفضاء الذي كان ينبغي أن يكون ملكاً عاماً قد أصبح خاضعاً لهيمنة مصالح اجتماعية واقتصادية متعددة، ومقيّداً بقيودها. ويتضح ذلك في البيانات الآتية:

النص الأصلي (ص. ١٣٥-١٣٦):

«أختها خلقت لنفسها مدينة لا بحر فيها! وهي اليوم تحاول أن تعوّدها إياها. لماذا لا ترحل؟ بجاسة المحيول الوحشية أشم رائحة الماء... البحر لا بد من أن يكون في مكان ما...»

استناداً إلى البيانات السابقة، تبدأ ملامح الوضع الاستعماري وآثاره في الظهور ضمن مسار الأحداث عندما تصل شخصية عائشة (الراوية) إلى بيروت، لتكتشف أن البحر، بوصفه رمزاً للحرية، قد «مات» أو لم يعد متاحاً للوصول إليه. وتمثل هذه اللحظة نقطة مفصلية في تشكّل وعيها بالواقع الاستعماري، إذ تدرك أن الفضاء العام، المتمثل في البحر، قد أصبح خاضعاً لسيطرة قوى اجتماعية واقتصادية تحتكر الوصول إليه وتحرم عامة الناس من الانتفاع به.

وتصوّر عادة السمان حالة الاغتراب والقهر من خلال استعارة المدينة ككائنٍ يلتهم حياة الإنسان ويمتصها. فتقول الشخصية: لقد امتصتني المدينة، كما تُصوّر شوارع المدينة الضيقة بأنها الأذرع الجائعة التي تغرز نفسها في كيانها (ص ١٣٧). وتكشف هذه الاستعارة أن المدينة في مرحلة ما بعد الاستعمار ليست مجرد إطارٍ مكانيٍّ تدور فيه الأحداث، بل تمثل

قوةً مهيمنةً تتحكم في حياة الإنسان وتوجه مصيره. ونتيجةً لذلك، تفقد الشخصية الحدود الفاصلة بين ذاتها والعالم المحيط بها، فتغرق في حالةٍ عميقةٍ من الاغتراب. ومن خلال هذا التصوير، تؤكد الكاتبة أن الاغتراب يُعدّ من الوقائع الإنسانية التي نشأت عن التفاوت الاجتماعي واستمرار آثار الإرث الاستعماري داخل المجتمع. ويتضح ذلك في البيانات الآتية:

النص الأصلي (ص. ١٣٧):

«لقد امتصتني المدينة المخطبوط.. شوارعها الضيقة الحزينة
انغrust في أعماقي كالأذرع الجائعة، وتدفقت أنا الى جوفها
الذي لا يمتلئ ماعًا ناريًا هامدًا.. وإذا أنا اختلطت بالصرخات
والأضواء الشاحبة والحدود الذابلة.. وإذا أنا من بعض النسغ
الحار الغامض الذي ينبض في كل مكان..»

UIN IMAM BONJOL
RADANG

استنادًا إلى البيانات السابقة، يتضح أن الكاتبة تصوّر القهر والاغتراب من خلال استعاراتٍ جسدية، إذ تُجسّد المدينة في صورة «أخطبوط» يمتص الإنسان، بينما تُصوّر الشوارع على أنها «أذرعٌ جائعة» تلتهمه وتستنزف طاقته. كما يتجلى التفاوت الاجتماعي من خلال المقابلة بين المدينة النابضة بالحياة والمترفة، حيث تقيم أخت الراوية، وبين واقع الأزقة الضيقة والضوء الشاحب الذي يحيم على الفضاء الحضري. وهكذا يغدو الاغتراب حقيقةً إنسانيةً ملموسة، حين تشعر الشخصية بأنها تذوب في فضاء المدينة ما بعد الاستعمارية، وتفقد تدريجيًا

إحساسها بذاتها وحدودها، نتيجة استمرار البنى الاجتماعية غير المتكافئة وآثار الهيمنة الاستعمارية.

١.٢ الشخصيات

تُعَدُّ شخصية الراوية (الأنا)، وهي فتاةٌ شابة، أكثر الشخصيات تمثيلاً لضحايا الاستعمار، إذ تسعى إلى الحفاظ على هويتها وحريتها في ظل الضغوط الاجتماعية التي تواجهها. ويتجلى ذلك عندما تعلن رغبتها في إكمال دراستها الجامعية في بيروت حتى تتمكن من اكتشاف ذاتها وألا تفقد شخصيتها، كما ورد في العبارتين: أبحث عن نفسي و بلا شخصية (ص ١٢٩). وتكشف هذه البيانات أن الاستعمار الثقافي والهيمنة الأبوية قد أفضيا إلى نشوء أزمة هوية لدى المرأة. ومن ثم، تمثل شخصية الراوية فئةً من النساء المتعلمات اللواتي، على الرغم من تعليمهن، ما زلن خاضعاتٍ لقيود الأعراف الاجتماعية. أما السلطة التي تحدّ من حريتها، فتتجسد في المؤسسات والعلاقات الاجتماعية ذات الطابع الهيمني والسيطرة. ويتضح ذلك في البيانات الآتية:

النص الأصلي (ص. ١٢٩):

«.. لا.. أريد أن أتم دراستي الجامعية.. وفي بيروت بالذات

كي أكون بعيدة عنك.. ألا ترى أنني الآن شيء هلامي

يبحث عن نفسه؟ وبماذا أحبك إذا ضيعت نفسي فيك

وكنت بلا شخصية..»

استناداً إلى البيانات السابقة، يمكن ملاحظة أن شخصية الراوية (الأنا) تمثل ضحيةً للاستعمار الثقافي والأيديولوجي. فهي شابةٌ نشأت في ظل مؤسسةٍ دينيةٍ (الدير)، التي تمثل سلطةً استعماريةً ذات طابعٍ أبوي. أما شخصية أيمُن، حبيبها، فتجسد صورة الرجل الذي يسعى إلى فرض هيمنته والسيطرة عليها. ومن ثم، فإن الفئة التي تقع ضحيةً لهذه الممارسات هي المرأة اللبنانية المتعلمة، التي ما تزال مقيدةً بالأعراف الاجتماعية والثقافية، في حين تتجسد القوى الاستعمارية في المؤسسات الدينية والضغوط الاجتماعية والثقافية التي تحد من حرية الفرد.

كما تؤدي ممارسات الاستعمار إلى نشوء صراعٍ نفسيٍّ عميق لدى الشخصية الرئيسة، إذ تعترف بقولها: بدأت أخاف نفسي (ص ١٤٠). ويظهر هذا الشعور بالخوف متزامناً مع إدراكها أنها أصبحت جزءاً من عالمٍ يملؤه الحزن والاغتراب والبهجة الزائفة. وإلى جانب الصراع النفسي، ينشأ أيضاً صراعٌ اجتماعي يرتبط بفقدان الهوية الأصيلة، حيث تشعر الشخصية بأنها تعيش في عالمٍ غريب لم يعد يمنح وجودها معنىً حقيقياً. ومن ثم، تصوّر الكاتبة الاستعمار لا بوصفه نظاماً يُنتج القهر البنيوي فحسب، بل باعتباره قوةً تُولّد اغتراباً نفسياً عميقاً يؤثر في نظرة الإنسان إلى ذاته وإدراكه لهويته. ويتضح ذلك في البيانات الآتية:

النص الأصلي (ص. ١٤٠):

«بدأت أخاف نفسي. الغرور الذي يدغدغ عنقي، هذه العقارب

السود التي بدأت تزحف نحو العصفور الغريد في صدري

وتحاصره. اني بطريقة ما انتمي الى هذا العالم البائس.. هذه
الأفراح المختلسة، هذه الدنان المحرمة هي أرض المهجر. وهذه
المرأة التي تنتحب في ركن المكان وتدعي انها تغني..»

استنادًا إلى البيانات السابقة، يتضح أن الاستعمار يولّد صراعًا نفسيًا عميقًا لدى
الشخصية الرئيسة. فالاغتراب، والخوف من الذات، والإحساس بالوقوع بين عالمين متناقضين
(التقاليد والحداثة، ودمشق وبيروت) تمثل جميعها مظاهر نفسية خلفها الإرث الاستعماري.
كما يظهر الصراع الاجتماعي عندما تدرك الشخصية أنها أصبحت تنتمي إلى عالمٍ يملؤه الحزن،
وهو عالمٌ ما بعد الاستعمار الذي فقد هويته الأصيلة وأصبح أسيرًا للبهجة الزائفة والاغتراب
الثقافي.

واستنادًا إلى النتائج الست السابقة، تتمثل الوقائع الإنسانية في القصة القصيرة لا بحر
في بيروت في التجربة الجماعية للمجتمع اللبناني في مرحلة ما بعد الاستعمار، الذي يعاني
الاغتراب، وأزمة الهوية، وتقييد الحرية، وعدم تكافؤ فرص الوصول إلى الفضاء الاجتماعي.
وتكشف الأحداث المتعددة التي تمر بها الشخصية الرئيسة، ابتداءً من سعيها إلى البحث عن
البحر بوصفه رمزًا للحرية، مرورًا بإدراكها لوجود هيمنة اجتماعية تقيد حرية الفرد، وانتهاءً
بحرمانها من الوصول إلى الفضاء العام، أن الاستعمار لا يقتصر على السيطرة المادية المباشرة،
بل يعمل أيضًا من خلال البنى الاجتماعية والثقافية والنفسية التي تشكّل رؤية الإنسان لذاته
ولحيطة. ومن منظور البنيوية التكوينية، تُعد هذه السلسلة من التجارب وقائع إنسانية لأنها

تنشأ من استجابة الإنسان للواقع الاجتماعي الذي يعيشه، وتعكس العلاقة الجدلية بين الفرد والظروف التاريخية للمجتمع الذي ينتمي إليه^١.

وعلاوةً على ذلك، فإن الاغتراب، والخوف من الذات، وفقدان الهوية الأصيلة، والكفاح من أجل نيل الحرية الذي تجسده رمزية البحر، كلها تدل على سعي الإنسان إلى التكيف مع البنية الاجتماعية القائمة، وفي الوقت نفسه مقاومتها عندما تتحول إلى أداةٍ للقهر والهيمنة. ومن ثم، فإن الوقائع الإنسانية في هذه القصة لا تقتصر على التجربة الفردية، بل تمثل تجربةً اجتماعيةً أوسع، هي تجربة المجتمع ما بعد الاستعمار الذي لا يزال يعيش تحت تأثير الإرث الاستعماري في تفاصيل حياته اليومية^٢. ولذلك، تقدم غادة السمان الوقائع الإنسانية بوصفها تصويرًا واقعيًا لمعاناة الإنسان في بحثه المستمر عن الحرية، والهوية، وفضاءٍ إنساني أكثر كرامة، في ظل نظام اجتماعي يواصل إعادة إنتاج أشكالٍ متعددة من الهيمنة والاعتراب^٣.

ج. الرؤية العالمية للمجتمع اللبناني في مرحلة ما بعد الاستعمار

يمكن الوقوف على الرؤية العالمية للمجتمع اللبناني في مرحلة ما بعد الاستعمار في القصة القصيرة لا بحر في بيروت لغادة السمان من خلال تحليلها في ضوء نظرية البنيوية

^١. Nurhayati, I., & Abdullah, M. (٢٠٢٣). *Kajian strukturalisme genetik Lucien Goldmann: Elemen fakta kemanusiaan dalam novel pilihan*. Konasindo: Proceedings of National Conference, ٥(٢), ١٥٦-١٧٢.

^٢. Hidayat, R. (٢٠٢٤). *Fakta kemanusiaan, subjek kolektif, dan pandangan dunia pengarang dalam cerpen Kutukan Dapur karya Eka Kurniawan (Kajian strukturalisme genetik)*. Jurnal Kajian Literatur dan Bahasa, ٦(١), ١٢-٢٧.

^٣. Widyastuti, A., & Prasetyo, D. (٢٠٢٤). *Manifestasi nilai kemanusiaan dalam cerpen kontemporer*. Morfologi: Jurnal Linguistik dan Sastra, ٨(١), ٣٣-٤٩.

التكوينية التي طوّرها لوسيان غولدمان . وتتجلى هذه الرؤية من خلال ثلاثة مؤشرات رئيسة، هي: الرؤية العالمية، والذات الجماعية، وبنية اللغة.

١. الرؤية العالمية

١.١ الأحداث

تتجسد الرؤية العالمية للمجتمع اللبناني في مرحلة ما بعد الاستعمار في القصة القصيرة من خلال التطلع إلى الحرية وامتلاك فضاءٍ حيّاتيٍّ يكون حقًا مشتركًا لجميع أفراد المجتمع. ويتضح ذلك عندما تشعر الشخصية الرئيسة وشريكها بأن الشارع والمدينة جزءٌ من وجودهما، كما ورد في العبارة: الشارع لها وأن المدينة بأكملها ولدت يوم التقيا (ص ١٢٨). ويعكس هذا التعبير حلمًا بوجود فضاءٍ اجتماعيٍّ حر، ومنفتح، وإنساني. غير أن هذه الحرية تُصوّر بوصفها حالةً هشّةً وقابلةً للزوال؛ إذ تدرك الشخصية أن المدينة التي تحبها قد تختفي في أية لحظة، وأنها قد (يبتلعها أخطود شيطاني) إذا افترقا (ص ١٢٨). ومن ثم، تكشف الرؤية العالمية التي تبنيها القصة عن حالةٍ من الازدواجية التي يعيشها المجتمع اللبناني في مرحلة ما بعد الاستعمار، حيث يتأرجح بين الأمل في الحرية والإحساس الدائم بوجود تهديداتٍ تحيط بها.

النص الأصلي (ص. ١٢٨):

«يسيران، يدها الساذجة قابعة في كهف يده الكبيرة، وجديلتها العريضة تهزج فوق ظهرها، والشارع أمامها ما زال طويلاً ينفتح في نهايته عند الأفق الوردي، فإذا به والأفق شيء واحد. وهما

يحسان أن الشارع لها وأن المدينة بأكملها ولدت يوم التقيا،
وسوف تختفي، يبتلعها اخدود شيطاني إذا ما افترقا.»

استنادًا إلى البيانات السابقة، تتمثل القيم التي تعكسها هذه الأحداث في التطلع إلى الحرية والحق في امتلاك الفضاء العام. فالمجتمع اللبناني في مرحلة ما بعد الاستعمار يتوق إلى استعادة حقه في المدينة والشوارع بوصفها ملكًا مشتركًا لجميع أفرادها. كما أن فكرة أن «المدينة وُلدت يوم التقيا» تجسد رؤيةً عالميةً ذات طابعٍ رومانسي، لكنها في الوقت نفسه شديدة الهشاشة، إذ تمثل يوتوبيا شخصية في ظل واقع اجتماعي وسياسي يتسم بعدم الاستقرار. ومن ثم، تتجلى ازدواجية موقف المجتمع؛ فمن جهةٍ يظل الأمل في الحرية قائمًا، ومن جهةٍ أخرى يرافقه إدراكٌ عميق لهشاشتها وللتحديات المستمرة التي ترمز إليها صورة الأخدود الشيطاني. وتتجلى الرؤية العالمية للمجتمع اللبناني في مرحلة ما بعد الاستعمار بصورةٍ أكثر وضوحًا من خلال الحوار حول وجود البحر في بيروت. فعندما تسمع الشخصية العبارة لا بحر في بيروت، تبادر إلى التساؤل عن معناها وترفض التسليم بها دون تمحيص (ص ١٣٠). وتمثل هذه العبارة نقطةً محوريةً تكشف عن أزمة الهوية وفقدان الحرية في المجتمع الذي تصوره الكاتبة. ويظهر رفض الشخصية لهذا الواقع في إصرارها على مواصلة البحث وعدم الاستسلام، إذ تروي الراوية أن عنادها الذي لم تفلح الراهبات في تفتيته قد عاد إليها من جديد (ص ١٣٠). ويعكس هذا الموقف رؤيةً عالميةً قائمةً على المقاومة، قوامها الإيمان بأن الحرية قيمةٌ ينبغي السعي إليها باستمرار، مهما حاولت القوى الاجتماعية فرض القيود عليها والحد من إمكان تحقيقها.

النص الأصلي (ص. ١٣٠):

«— لماذا لا تسمعين؟ يا صغيرتي فأعلمي أن لا بحر في

بيروت..

— ماذا؟

— لا بحر في بيروت.

ماذا يعني؟ لماذا يضايقها؟ يستيقظ عنادها الذي لم تفلح

الراهبات في تفتيته. الطير في صدرها يقاوم، ينقرها، يحاول أن

يمنعها.. لن تتراجع..»

استناداً إلى البيانات السابقة، تتجلى الرؤية العالمية بأوضح صورها في الحوار الذي يدور بين أيمن والرواية حول العبارة لا بحر في بيروت. ويُعد هذا الحوار المحور الرئيس الذي يكشف الأيديولوجية الكامنة في القصة، إذ يتبين أن مدينة بيروت، التي كان يُفترض أن تكون رمزاً للحرية، قد فقدت «بحرها»، أي فقدت هويتها وحريتها. كما أن موقف الرواية، التي ترفض التراجع رغم ما تواجهه من عوائق، يجسد رؤيةً علميةً تقوم على المقاومة، وتعكس إيماناً بأن المجتمع اللبناني الواعي لا يقبل الواقع ما بعد الاستعماري الذي يفرض عليه القيود والخضوع، بل يسعى إلى مقاومته واستعادة حرته.

كما تُصوّر نظرة المجتمع اللبناني في مرحلة ما بعد الاستعمار إلى الواقع الاجتماعي نظرةً نقدية تميل إلى التشاؤم، نتيجةً للتجارب التاريخية التي جعلته غير قادرٍ على الوثوق بالمظاهر الخارجية للأشياء. فتبدأ الشخصية في التشكيك في الوجود الحقيقي للبحر، وتخليه مجرد (لوحة رمادية مدقوقة على الأفق) (ص ١٣٦). ويزداد هذا الشك عندما يُصوّر البحر

على أنه ليس سوى (تنمة أسفلت الشارع) صُنعت لتبدو أكثر زرقةً بفعل خبراء التجميل والتزييف (ص ١٣٦). وتتحول هذه الصورة إلى استعارةٍ للحدائث الزائفة التي تخفي الواقع الحقيقي وراء مظاهر براقية. ومن ثم، فإن الموقف النقدي والتشاؤمي الذي يتبناه المجتمع لا يعبر عن الاستسلام أو اليأس، وإنما يمثل ثمرة وعي عميق بالأوهام التي تنتجها البنى الاجتماعية في مرحلة ما بعد الاستعمار وتعيد إنتاجها.

النص الأصلي (ص. ١٣٦):

«بدأت تشك في ان البحر الحقيقي هنا.. يخيل اليها انه لوحة
رمادية مدقوقة على الأفق.. لوحة صلبة.. وانها لو وصلت مرة
الى المدعو بالبحر في بيروت لاستطاعت السير عليه.. انه تنمة
لاسفلت الشارع اهتم الخبراء بجعل لونه أكثر زرقة.. هذا كل ما
في الأمر!»

UIN IMAM BONJOL
PADANG

استناداً إلى البيانات السابقة، ينظر المجتمع اللبناني في مرحلة ما بعد الاستعمار إلى واقعه نظرةً نقديةً يغلب عليها التشاؤم، نتيجةً للتجارب التاريخية التي غرست فيه الشك تجاه المظاهر السطحية للأشياء. فالبحر، الذي يبدو جميلاً في الظاهر، ليس في الحقيقة سوى (لوحة رمادية مدقوقة على الأفق)، وهي استعارة ترمز إلى الجمال الزائف لبيروت الحديثة التي أُقيمت على أسسٍ خلفها الإرث الاستعماري. ومع ذلك، فإن هذه الرؤية المتشائمة لا تعبر عن نزعةٍ عدمية أو استسلامٍ سلبي، وإنما تمثل وسيلةً للدفاع عن الذات، اكتسبها المجتمع بعد أن خاب

أمله مرارًا في وعود التحديث والاستقلال التي لم تحقق الحرية المنشودة، فأصبح أكثر وعيًا بالأوهام التي تحيط بواقعه.

وتتجسد الرؤية العالمية للمجتمع اللبناني في مرحلة ما بعد الاستعمار أيضًا في موقف المقاومة الذي تتبناه الشخصية الرئيسة دفاعًا عن حقها في الحرية. فعندما مُنعت من الوصول إلى البحر، أعلنت بإصرار: «ولكني أريد نصيبي من البحر» (ص ١٥٠). ويؤكد هذا التصريح أن البحر يُنظر إليه بوصفه رمزًا للحق، والحرية، والكرامة الإنسانية. ويتعمق هذا الوعي المقاوم عندما تصرّح الشخصية قائلة: (هناك قوة تحارب اعتاقنا): ثم تؤكد بإرادة راسخة (لن أتخاذل) (ص ١٥٠). ويعكس هذا الموقف رؤية عالمية تؤمن بأن الحرية لا تُمنح من قبل السلطة، وإنما تُنتزع بالنضال المستمر والسعي الدؤوب. ومن ثم، فإن أفعال الشخصية الرئيسة تمثل روح المقاومة في المجتمع ما بعد الاستعمار، وتُجسد رفضه لاستمرار مختلف أشكال الهيمنة التي ما تزال تتحكم في الحياة الاجتماعية.

النص الأصلي (ص. ١٥٠):
 «— ولكني أريد نصيبي من البحر!

هناك قوة تحارب اعتاقنا. الآخرون لن يمنحوني زجاجة بحر. لن أتخاذل.

المسيح العسكري.»

استنادًا إلى البيانات السابقة، تتجسد الرؤية العالمية للمجتمع اللبناني في مرحلة ما بعد الاستعمار في موقف المقاومة الفاعلة الذي تتبناه الشخصية الرئيسة، ويتجلى ذلك في قولها :

(لن أتخاذل). فإصرارها على عدم الاستسلام ومواصلة النضال من أجل الحصول على (نصيبها من البحر) يمثل تجسيداً عملياً للرؤية العالمية الجماعية التي تؤمن بأن الحرية والحق في الفضاء العام لا يُمنحان من قبل السلطة، وإنما يُنتزعان بالكفاح والمقاومة المستمرة. كما أن الإشارة إلى (المسيح العسكري) في خاتمة القصة تكشف عن المفارقة العنيفة التي تميز واقع ما بعد الاستعمار، إذ لم يعد البحر خاضعاً لسلطة المستعمر الأجنبي، بل أصبح واقعاً تحت هيمنة قوى محلية لا تقل قمعاً واستبداداً، الأمر الذي يعكس استمرار أنماط الهيمنة بأشكال جديدة داخل المجتمع نفسه.

١.٢ الشخصيات

تُعدُّ شخصية الراوية (الأنا) أكثر الشخصيات تمثيلاً للرؤية العالمية للمجتمع اللبناني في مرحلة ما بعد الاستعمار في القصة القصيرة (لا بحر في بيروت). فهي فتاةٌ شابة تتوجه إلى بيروت بحثاً عن البحر بوصفه رمزاً للحرية وهويتها الذاتية. وباعتبارها الشخصية المحورية في القصة، فإنها تحمل على عاتقها جميع أبعاد الصراع الأيديولوجي الذي تبنيه الكاتبة. ويتجلى قلقها الوجودي في مناجاتها الداخلية عندما تتساءل: (ماذا لو لم أجد البحر؟) (ص ١٤٧). ولا يمثل هذا السؤال مجرد هاجسٍ شخصي، بل يعكس قلقاً جماعياً يعيشه المجتمع اللبناني في ظل حالة عدم اليقين التي تميز مرحلة ما بعد الاستعمار.

وعلاوة على ذلك، تجد الراوية نفسها أمام خيارين كلاهما مرّ؛ فإما أن تعود إلى العلاقة التي كانت تقيد حريتها، والتي تصفها بأنها (صدفة بلا نوافذ) يعبد فيها الطرفان صنم خيبة الأمل، وإما أن تتقبل حقيقة أنها قد (انسلخت عن وجودي السابق) (ص ١٤٧). وتجسد

هذه الخيارات الرؤية العالمية للمجتمع اللبناني في مرحلة ما بعد الاستعمار، الذي يجد نفسه عالقاً بين تقاليد تكبل حريته وحادثة لم تكتمل ملامحها بعد. ومن ثم، فإن شخصية الراوية لا تؤدي دور البطلة فحسب، بل تمثل أيضاً الذات الجماعية التي تعبّر عن تطلعات المرأة اللبنانية وآلامها وروح مقاومتها في مواجهة الآثار المستمرة للإرث الاستعماري داخل البنى الاجتماعية والثقافية.

النص الأصلي (ص. ١٤٧): (الآن أبدأ بجثي.. ماذا

لو لم أجد البحر؟ ماذا لو غرفت من البحر ملء زجاجة
وظللت أشعر بأني لم أجد البحر حقاً؟ هل أعود الى أيمن
وأرضى بصدفة بلا نوافذ نعبد فيها وثن خيبتنا؟ أم إني
انسلخت عن وجودي السابق وقضيت الأمر)..

استناداً إلى البيانات السابقة، تُعدّ شخصية الراوية (الأنا) أكثر الشخصيات تمثيلاً للرؤية العالمية للمجتمع اللبناني في مرحلة ما بعد الاستعمار. فهي امرأة شابة متعلمة جاءت إلى بيروت من بيئة دينية متمثلة في الدير، الذي يرمز إلى منظومة تعليمية ذات طابع استعماري وديني، باحثة عن البحر بوصفه رمزاً للحرية والهوية الأصيلة. وتحمل هذه الشخصية كامل أعباء الصراع الأيديولوجي الذي تقوم عليه القصة؛ فهي لا تبحث عن البحر بوصفه مكاناً مادياً فحسب، بل تسعى إلى اكتشاف معنى الحياة، والحرية، والذات التي سلبتها البنى الاجتماعية الأبوية في مرحلة ما بعد الاستعمار. كما أن قلقها الوجودي، المتمثل في التردد بين العودة إلى علاقة مقيدة تصفها بأنها (صدفة بلا نوافذ)، أو التخلي الكامل عن هويتها السابقة كما تعبّر

عنه بقولها (انسلخت عن وجودي السابق)، يجسد المأزق الجماعي الذي يعيشه المجتمع اللبناني في مرحلة ما بعد الاستعمار، العالق بين التقاليد والحداثة، وبين الخضوع والمقاومة. ومن ثم، فإن شخصية الراوية لا تمثل فردًا بعينه، بل تجسد الذات الجماعية التي تعبّر عن تطلعات النساء اللبنانيات المتعلمات، وشكوكهن، ومقاومتهن للقيود الاجتماعية والثقافية التي ما تزال امتدادًا للإرث الاستعماري.

وتتجلى يقظة الشخصية الرئيسة ووعيتها النقدي بالواقع الاجتماعي والسياسي الذي تعيشه عندما تدرك أنها أصبحت جزءًا من الفئة المهمشة والمقصية. ويتضح ذلك في قولها: (قررت الانضمام إلى موكب المنفيين) (ص ١٤٥). ويكشف هذا التصريح عن تحول الشخصية من مجرد معاناة وجدانية إلى امتلاك وعي اجتماعي أعمق بطبيعة الواقع الذي تعيشه. كما تدرك أن الطريق الذي اختارته ليس يسيرًا، إذ تعترف بقولها: (سوف تكون مهمتي شاقة) (ص ١٤٥)، لكنها تبقى متمسكة بعزمها على مواصلة هذا الطريق. ويعكس هذا الوعي موقفًا نقديًا يتبناه المجتمع في مرحلة ما بعد الاستعمار، حيث يدرك أفراد طليعة القهر الذي يواجهونه، ويختارون الاستمرار في مقاومته رغم ما يرافق ذلك من صعوبات وتضحيات.

النص الأصلي (ص. ١٤٥):

«— سأقول له اني عاجزة عن الهرب من وجودي كإنسانة، واني

قررت الانضمام الى موكب المنفيين...

— هذا جيد..

تعلو وجهها سحابة كآبة، وتحس بريش الطائر الذي كان

يقطن صدرها يتناثر من فيها وعينيها...
 - سوف تكون مهمتي شاقة.. لقد أقسمت على الوفاء،
 وكنت أعني ذلك لما قلت..»

استنادًا إلى البيانات السابقة، تبلغ الشخصية الرئيسة ذروة وعيها النقدي عندما تقرر (الانضمام إلى موكب المنفيين). ولا يُعد هذا القرار مجرد استجابة عاطفية أو انفعال مؤقت، بل يمثل موقفًا وجوديًا واعيًا واتخاذًا مقصودًا يعكس إدراكها العميق للواقع الاجتماعي والسياسي الذي تعيشه. فهي تدرك أن المنفى، بالنسبة إلى المرأة اللبنانية في مرحلة ما بعد الاستعمار، لم يعد حالة استثنائية، بل أصبح واقعًا لا يمكن الإفلات منه. ومن ثم، فإن اختيارها احتضان هذا المصير والالتزام به بإرادة كاملة يُعد فعلًا سياسيًا واعيًا، يجسد مقاومةً للهيمنة ورفضًا للخضوع لواقع الإقصاء والتهميش.

واستنادًا إلى النتائج الست السابقة، تشكل الرؤية العالمية (Worldview) للمجتمع اللبناني في مرحلة ما بعد الاستعمار في القصة القصيرة لا بحر في بيروت من خلال وعي جماعي بأهمية الحرية، والهوية، والحق في فضاءٍ حيائي يقوم على العدالة. وتتجلى هذه الرؤية في توق الشخصية الرئيسة إلى العثور على البحر، الذي يرمز إلى الحرية، والأمل، والوجود الإنساني الأصيل. ولا يقتصر البحث عن البحر على كونه رغبةً فردية، بل يمثل أيضًا تطلعات المجتمع ما بعد الاستعماري إلى التحرر من القيود الاجتماعية والثقافية والسياسية التي لا تزال تشكل امتدادًا للإرث الاستعماري. ومن منظور البنيوية التكوينية عند لوسيان غولدمان، تمثل هذه

الرؤية العالمية بنيةً دلاليةً نشأت من التجربة التاريخية لجماعة اجتماعية، وتتجسد من خلال الشخصيات، والصراعات، والرموز التي يوظفها النص الأدبي^٤.

وعلاوةً على ذلك، تكشف الرؤية العالمية التي تقدمها عادة السمان عن موقف نقدي وروح مقاومة تجاه الواقع ما بعد الاستعماري بما يحمله من تناقضات. فالمجتمع يُصوّر بوصفه يعيش بين الأمل في الحرية، وبين واقع ما تزال فيه الفضاءات العامة والحقوق الاجتماعية خاضعةً لهيمنة قوى بعينها. ويولد هذا الإدراك وعيًا مقاومًا يتجسد في إصرار الشخصية الرئيسة على مواصلة البحث عن (نصيها من البحر) رغم ما تواجهه من عوائق وتحديات^٥. ومن ثم، فإن الرؤية العالمية للمجتمع اللبناني في هذه القصة لا تقوم على السلبية أو الاستسلام للقدر، بل تعبر عن إيمانٍ راسخ بأن الحرية، والكرامة الإنسانية، والهوية الجماعية قيم لا تُنال إلا بالنضال الواعي، بوصفه استجابةً تاريخيةً لاستمرار أشكال الهيمنة التي ما تزال تلقي بظلالها على الحياة الاجتماعية^٦.

٢. الذات الجماعية

٢.١ الشخصيات

تتجسد الذات الجماعية للمرأة العربية في مرحلة ما بعد الاستعمار بصورة رئيسة في شخصية الراوية (الأنا). فهذه الشخصية لا تؤدي دور الفرد الذي يعيش صراعًا شخصيًا

^٤. Yusuf, A. (٢٠٢٢). *Ekspresi pandangan dunia kelompok sosial pengarang dalam karya sastra*. Litera: Jurnal Penelitian Bahasa, Sastra, dan Pengajaran, ٢١(١), ٤٥-٦٢.

^٥. Hidayat, R. (٢٠٢٤). *Fakta kemanusiaan, subjek kolektif, dan pandangan dunia pengarang dalam cerpen Kutukan Dapur karya Eka Kurniawan (Kajian strukturalisme genetika)*. Jurnal Kajian Literatur dan Bahasa, ٦(١), ١٢-٢٧.

^٦. Santoso, B., & Wijaya, K. (٢٠٢٣). *Kajian antropologi sastra dalam novel Rahvayana Aku Lala*. Jentera: Jurnal Sastra, ١٩(٢), ٧٨-٩٥.

فحسب، بل تمثل أيضاً رمزاً للتجربة المشتركة التي تخوضها المرأة العربية في ظل الضغوط الاجتماعية والثقافية والسياسية. ومن خلال سعيها المتواصل إلى الحرية، والهوية، ومعنى الوجود، تعبّر الراوية عن تطلعات فئةٍ من النساء المتعلّقات اللواتي ما زلن يعانين التهميش داخل البنية الاجتماعية. وبذلك، فإن تجارب الشخصية الرئيسة وصراعاتها النفسية تجسد الوعي الجماعي للمرأة العربية في مرحلة ما بعد الاستعمار، وهي تحاول التحرر من مختلف أشكال الهيمنة والقيود الاجتماعية. ويتضح ذلك في البيانات الآتية:

لقد رسخت أعمالها الأدبية المتنوعة، التي امتازت بالنثر الغنائي، والنقد الاجتماعي الحاد، والتركيز على تجارب المرأة في المجتمع العربي، مكانتها بوصفها أحد أبرز الأصوات الأدبية تأثيراً في سورية المعاصرة وفي العالم العربي على نطاق أوسع^٧.

استناداً إلى البيانات السابقة، تمثل شخصية الراوية (الأنا) في القصة القصيرة تجسيداً للوعي الجماعي للمرأة العربية في مرحلة ما بعد الاستعمار، وهو وعيٌ استمدته الكاتبة من تجربتها ورؤيتها للعالم الذي تنتمي إليه. وبوصف غادة السمان كاتبةً كرست معظم أعمالها الأدبية لتصوير تجارب المرأة في المجتمع العربي، فإن شخصياتها لا تُقدّم باعتبارها أفراداً منعزلين، بل بوصفها تجسيداً للصوت الجماعي للنساء اللواتي يعانين التهميش الاجتماعي والثقافي والسياسي في العالم العربي ما بعد الاستعمار.

^٧. Arshad Laskar, "Life of Ghadah Al-Samman and her Literary Works," *Sprin Journal of Arabic-English Studies* ٢, no. ٢ (٢٠٢٣): ١-٨.

وفي البنية الاجتماعية التي تصورها القصة، تحتل فئة النساء المتعلّقات موقعاً يتسم بالازدواجية والغموض. فمن جهة، يمتلكن رأس مالٍ فكرياً ووعياً نقدياً يمكنهن من إدراك مختلف صور الظلم الاجتماعي، ومن جهةٍ أخرى يفتقرن إلى القدرة الكافية على تغيير هذه البنية بصورة مباشرة. ويتجسد هذا الوضع في شخصية الراوية، التي تمتلك القدرة على التفكير النقدي وتحلم بالحرية، لكنها تظل تواجه عقباتٍ متعددة تحول دون وصولها إلى الفضاء العام الذي يرمز إليه البحر. ويكشف ذلك أن فئة المثقفين من الطبقة الوسطى في مرحلة ما بعد الاستعمار تعيش حالةً من التوتر بين القيم التقدمية التي تؤمن بها، وبين ضغوط التقاليد والسلطات الاجتماعية التي ما تزال تقيد حياتها. ويتضح ذلك في البيانات الآتية:

كانت أسرتها تنتمي إلى الطبقة البرجوازية المتعلمة، وتمتد جذورها إلى الأوساط الفكرية والمهنية البارزة في سورية. وقد أسهمت القيم الأسرية المتجذرة في التقاليد العربية، والمقترنة بالرؤية التقدمية التي غرسها والداها، في تنمية رغبتها في فهم الأعراف الاجتماعية السائدة وتحديها.

استناداً إلى البيانات السابقة، يتضح أن الجماعة الاجتماعية التي تمثلها القصة تنتمي إلى الطبقة الوسطى المتعلمة، وهي طبقة تتسم بوضعٍ ملتبس؛ فهي تمتلك من الوعي والمعرفة ما يكفي لإدراك أشكال الظلم الاجتماعي، لكنها لا تملك من السلطة والنفوذ ما يمكنها من إحداث تغييرٍ بنيوي في المجتمع. ويتجسد هذا الموقع في شخصية الراوية (الأنا)، التي تمتلك القدرة على القراءة والتفكير النقدي والحلم بالحرية، لكنها تظل عاجزة عن الوصول إلى الفضاء

العام، الذي يرمز إليه البحر، بسبب الحواجز المادية والاجتماعية التي تحول دون ذلك. ومن ثم، تعيش هذه الفئة من المثقفين في الطبقة الوسطى حالة من التوتر المستمر بين القيم التقدمية التي تؤمن بها وضغوط التقاليد والبنى الاجتماعية التي تكبل حريتها.

كما تمتلك فئة النساء العربيات المثقفات تطلعاً قوياً إلى الحرية والعدالة الاجتماعية، لأنها عاشت بصورة مباشرة أشكالاً متعددة من القهر، سواء من خلال القيود المفروضة على المرأة، أو الضغوط الثقافية، أو هيمنة السلطة الاجتماعية. وقد أسهمت هذه التجارب في تشكيل رؤية جماعية ترى أن النضال من أجل الحرية ليس قضية فردية فحسب، بل هو مشروع اجتماعي ينبغي أن تتكاتف الجهود لتحقيقه. ويتجلى هذا الطموح في القصة من خلال إصرار الراوية على مواصلة الدفاع عن حقها في الحرية، رغم ما تواجهه من عقبات وتحديات. ولذلك، فإن أفكار هذه الجماعة وتطلعاتها تنبع من خبرتها التاريخية والاجتماعية، التي وضعتها في موقع جماعة تسعى باستمرار إلى انتزاع فضاء حيائي أكثر عدلاً وإنسانية. ويتضح ذلك في البيانات الآتية:

وعلى الرغم من مواجهتها للرقابة السياسية، وتجربة المنفى الشخصي، ومقاومة المجتمع، فقد حافظت على التزام راسخ بأعمالها الأدبية ومبادئها الفكرية. وتنبع استمرارية تأثيرها من قدرتها على تكييف صوتها الأدبي مع القضايا المعاصرة، ومن إخلاصها الثابت للحقيقة، فضلاً عن دورها الريادي في إعادة صياغة أدب المرأة العربية والخطاب الفكري العربي.

استنادًا إلى البيانات السابقة، يتبين أن جماعة النساء العربيات المثقفات تحمل تطلعا راسخًا إلى الحرية والعدالة الاجتماعية، لأنها عانت بصورة مباشرة أشكالا متداخلة من القمع، تمثلت في الرقابة السياسية، والإقصاء أو الاغتراب الثقافي، والقيود المفروضة على المرأة. وقد أسهمت هذه التجارب في تشكيل رؤيتها العالمية (Weltanschauung) الجماعية، القائمة على الإيمان بأن النضال من أجل الحرية لا يقتصر على كونه شأنًا فرديًا، بل يمثل قضية اجتماعية وسياسية ينبغي مواصلة الكفاح من أجلها. ويتجسد هذا التطلع في القصة القصيرة في ثبات شخصية الراوية (الأنا) وإصرارها على عدم الاستسلام، رغم ما تواجهه من عوائق تفرضها السلطة والأجهزة الرسمية، ومن بنية اجتماعية تقوم على الإقصاء والاحتكار.

٢.٢ الأحداث

تتمثل الجماعة الاجتماعية التي تصورها القصة القصيرة لا بحر في بيروت في النساء العربيات المتعلّقات بالمتعلّقات إلى الطبقة الوسطى، واللواتي يعشن في ظل واقع ما بعد الاستعمار. وتجد هذه الفئة نفسها في خضم صراع بين القيم التقليدية الراسخة ومتطلبات الحداثة المتنامية في المجتمع العربي. وكما يتضح من الاتجاه العام في أعمال غادة السمان، التي تعالج قضايا المرأة، والحرية الفردية، والتحوّلات الاجتماعية، فإن الشخصية النسائية في هذه القصة تمثل فئة تمتلك فرصًا للتعليم ووعيًا فكريًا، لكنها تظل خاضعةً لأشكال متعددة من القيود الاجتماعية والثقافية. ومن ثم، تظهر هذه الفئة من النساء المتعلّقات بوصفها ذاتًا جماعية تعبّر عن السعي إلى الهوية، والحرية، وحق الإنسان في فضاء حيائي أكثر مساواة، في ظل

استمرار آثار الاستعمار والنظام الأبوي داخل المجتمع اللبناني في مرحلة ما بعد الاستعمار. ويتضح ذلك في البيانات الآتية:

تعكس كتاباتها انخراطاً عميقاً في هذه القضايا، إذ كثيراً ما تستكشف التوتر القائم بين التقاليد والحداثة، ودور المرأة في المجتمع، والسعي إلى الحرية الفردية والجماعية. وقد برز صوتهما الأدبي في مرحلةٍ اتسمت بالحركات الثورية، والصراعات الأيديولوجية، والنهضة الثقافية المتنامية في العالم العربي.

استناداً إلى البيانات السابقة، يتضح أن الجماعة الاجتماعية التي تمثلها القصة هي النساء العربيات المتعلّمات المنتميات إلى الطبقة الوسطى، واللواتي يعشن في ظل التوتر القائم بين التقاليد والحداثة في مرحلة ما بعد الاستعمار. وتنتمي عادة السمان نفسها إلى أسرة برجوازية مثقفة في سورية، وقد عكست كتاباتها بصورة متواصلة واقع المرأة التي تمتلك فرصة التعليم، لكنها تظل مقيدةً بالأعراف الاجتماعية والثقافية. ومن ثم، تغدو هذه الفئة ذاتاً جماعية تعبّر عن السعي إلى الحرية والهوية في ظل استمرار آثار الاستعمار والنظام الأبوي المتجذرين في المجتمع.

ويبرز موقف هذه الجماعة الاجتماعية تجاه واقع ما بعد الاستعمار عندما تبدأ في إدراك أن الاستقلال السياسي لا يعني بالضرورة تحقق الحرية الاجتماعية الحقيقية. ويتجسد هذا الوعي في القصة من خلال رحلة الشخصية الرئيسة في البحث عن البحر، الذي يرمز إلى الحرية والأمل. غير أن هذه الرحلة تكشف في النهاية أن الفضاء الذي كان ينبغي أن يكون

ملكاً للمجتمع قد أصبح خاضعاً لسيطرة قوى جديدة. ويعكس هذا الوضع وعي جيل ما بعد الاستقلال، الذي بدأ يدرك أن الاستعمار لم ينتهِ تماماً برحيل المستعمر، بل استمر بأشكالٍ مختلفة من الهيمنة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية التي ورثها المجتمع في مرحلة ما بعد الاستعمار. ويتضح ذلك في البيانات الآتية:

نالت سورية استقلالها من الاستعمار الفرنسي عام ١٩٤٦، حين كانت عادة لا تزال في الرابعة من عمرها، وهو حدثٌ مفصلي غرس في بيئتها المبكرة مشاعر الاعتزاز الوطني والروح الثورية. وقد اتسمت مرحلة ما بعد الاستقلال بعدم الاستقرار السياسي، وتكرار الانقلابات العسكرية، وصعود النزعة القومية العربية، وهي عوامل أسهمت جميعها في تشكيل الخلفية التاريخية والاجتماعية الديناميكية، والمضطربة في كثير من الأحيان، التي أثرت في تكوين شخصيتها وفكرها خلال سنوات نشأتها.

استناداً إلى البيانات السابقة، يتجلى ردُّ فعل الجماعة الاجتماعية تجاه واقع ما بعد الاستعمار في السياق التاريخي الذي أعقب استقلال سورية ولبنان، وهي مرحلة اتسمت بعدم الاستقرار السياسي، وصعود القومية العربية، وأزمات الهوية. وفي القصة القصيرة، يظهر هذا الموقف من خلال سعي الشخصية الرئيسة إلى البحث عن البحر بوصفه رمزاً للحرية التي كان من المفترض أن تتحقق بعد الاستقلال، لكنها تكتشف أن هذا الفضاء ما يزال خاضعاً لسلطة

قوى جديدة تحول دون الوصول إليه. ومن هنا، يبدأ الوعي النقدي الجماعي بالتشكل عندما تدرك أجيال ما بعد الاستقلال أن الاستعمار لم ينتهِ بانسحاب المستعمر من الناحية المادية، وإنما استمر في صورة بنى اجتماعية وآليات سلطة محلية أعادت إنتاج علاقات الهيمنة بأشكال جديدة.

كما يتجسد الوعي الجماعي للمرأة العربية في مرحلة ما بعد الاستعمار من خلال الصراعات، والحوارات، والمواقف التي تتخذها الشخصية الرئيسة على امتداد أحداث القصة. فالصراع بينها وبين الجندي الذي يحرس الشاطئ، والحوار حول عبارة لا بحر في بيروت، وإصرارها على الوصول إلى البحر، كلها تمثل أشكالاً من المقاومة في مواجهة البنية الاجتماعية التي تحد من حرية الفرد. ولا يقتصر البحر في القصة على كونه فضاءً ماديًا، بل يغدو رمزًا للحق، والهوية، والحرية التي تناضل الجماعة من أجل استعادتها. ومن خلال شخصية الراوية، تعبّر غادة السمان عن الوعي الجماعي للمرأة العربية التي ترفض اعتبار القهر والتمييز أمرًا طبيعيًا أو مشروعًا. وبذلك، يصبح نضال الشخصية الرئيسة تجسيدًا لنضال جماعة اجتماعية أوسع تسعى إلى تحقيق الحرية، والمساواة، والاعتراف بكرامة الإنسان. ويتضح ذلك في البيانات الآتية:

كانت من رائدات النهج الأدبي الذي جمع بين المنظور النسوي والواقعية الاجتماعية، وألهمت بذلك عددًا كبيرًا من الكتاب في مختلف أنحاء العالم العربي. كما أصبحت مقالاتها التي تناولت قضايا النوع الاجتماعي، والثقافة، والتحويلات الاجتماعية من النصوص المرجعية الأساسية في الفكر النسوي

العربي، إذ دافعت عن حقوق المرأة، ودعت إلى تعزيز حضورها وتمثيلها في الأدب وفي الحياة العامة.

استنادًا إلى البيانات السابقة، يتجسد الوعي الجماعي للنساء العربيات المثقفات في القصة القصيرة من خلال المنهج الواقعي الاجتماعي ذي المنظور النسوي الذي يُعد سمة بارزة في أدب غادة السمان. فالصراع الذي يدور بين الراوية والجندي المكلف بحراسة الشاطئ، والحوار حول عبارة لا بحر في بيروت، وإصرار الشخصية الرئيسة على مواصلة البحث عن بحرهما الخاص، كلها تمثل صورًا عملية للوعي الجماعي الذي يؤمن بأن الحق في الفضاء العام، والحرية، والهوية، ليس امتيازًا يقتصر على فئة محدودة، بل هو حق جماعي ينبغي النضال من أجله. ومن خلال هذه الشخصية الفردية، تعبّر غادة السمان في الحقيقة عن تطلعات ومقاومة جيل كامل من النساء العربيات في مرحلة ما بعد الاستعمار.

واستنادًا إلى النتائج الست السابقة، يتمثل الذات الجماعية في القصة القصيرة لا بحر في بيروت في جماعة النساء العربيات المتعلّقات بالانتماء إلى الطبقة الوسطى، واللواتي يعشن في ظل واقع ما بعد الاستعمار، حيث يجدن أنفسهن بين ضغوط التقاليد، وهيمنة النظام الأبوي، ومتطلبات الحداثة. وتمتلك هذه الجماعة وعيًا فكريًا يمكنها من إدراك مظاهر الظلم الاجتماعي المختلفة، لكنها في الوقت نفسه ما تزال تعاني قيودًا تحد من قدرتها على الوصول إلى الحرية وتقرير مصيرها بنفسها. ومن خلال شخصية الراوية (الأنا)، تقدم غادة السمان تجربة لا تقتصر على بعدها الفردي، وإنما تعكس كذلك التجربة الجماعية للمرأة العربية التي تواجه الضغوط الاجتماعية والثقافية والسياسية. ووفقًا لمنظور البنيوية التكوينية عند لوسيان

غولدمان، فإن الذات الجماعية هي الجماعة الاجتماعية الحاملة لوعي معين ورؤية خاصة للعالم، وهي تتجسد في هذه القصة في النساء العربيات المثقفات في مرحلة ما بعد الاستعمار، اللواتي يواصلن السعي إلى استعادة الهوية وانتزاع فضاءٍ أكثر حرية وعدالة^٨.

وعلاوة على ذلك، يظهر الوعي الجماعي لهذه الفئة في الطريقة التي تستجيب بها لواقع ما بعد الاستعمار، الذي ما يزال يحتفظ بأشكالٍ متعددة من الهيمنة، سواء عبر البنى الاجتماعية، أو علاقات النوع الاجتماعي، أو السيطرة على الفضاءات العامة. كما أن تطلّعها المستمر إلى الحرية، والمساواة، والعدالة الاجتماعية، والذي يتجسد في نضال الشخصية الرئيسة، يؤكد أن الكفاح من أجل امتلاك الذات ليس قضيةً فردية، بل هو مشروعٌ جماعي نشأ من التجربة التاريخية المشتركة للمرأة العربية^٩. ومن ثم، تؤدي شخصية الراوية دور الممثل الحقيقي للذات الجماعية، إذ تعبّر عن آمال النساء في مرحلة ما بعد الاستعمار، وهواجسهن، وروح المقاومة التي يحملنها في مواجهة مختلف أشكال القهر التي لا تزال راسخة في المجتمع. وبذلك، تكشف القصة أن الوعي الجماعي يمثل قوةً أساسية في بناء المقاومة ضد الإرث الاستعماري والنظام الأبوي اللذين ما يزالان يحدّان من حرية الإنسان^{١٠}.

^٨. Nurhayati, I., & Abdullah, M. (٢٠٢٣). *Kajian strukturalisme genetik Lucien Goldmann: Elemen subjek kolektif dalam novel pilihan*. Konasindo: Proceedings of National Conference, ٥(٢), ١٥٦–١٧٢.

^٩. Hidayat, R. (٢٠٢٤). *Fakta kemanusiaan, subjek kolektif, dan pandangan dunia pengarang dalam cerpen Kutukan Dapur karya Eka Kurniawan (Kajian strukturalisme genetik)*. Jurnal Kajian Literatur dan Bahasa, ٦(١), ١٢–٢٧.

^{١٠}. Pratama, G., & Setiawan, D. (٢٠٢٣). *Analisis strukturalisme genetik novel Rindu yang Membawamu Pulang: Fakta kemanusiaan, subjek kolektif, dan pandangan dunia*. Jurnal Bahasa dan Sastra, ١٧(٤), ٢٠١–٢١٨.

٣. بنية اللغة (البنية اللغوية)

في المرحلة الأخيرة من دراسة البنيوية التكوينية، يقترح لوسيان غولدمان أن يصوغ الباحث العلاقة الجدلية بين بنية العمل الأدبي والواقع الاجتماعي الذي يقف وراءه من خلال ثلاث مراحل، هي: الأطروحة (Thesis)، ونقيض الأطروحة (Antithesis)، والتركيب (Synthesis). ففي هذا الإطار، تُصاغ الوقائع التاريخية في صورة أطروحة، بينما تُصاغ الخيارات التي تواجه الذات الفاعلة في صورة نقيض الأطروحة، أما القرار النهائي الذي تتخذه تلك الذات فيمثل مرحلة التركيب.

وبالاستناد إلى الوقائع الإنسانية، والرؤية العالمية، والذات الجماعية التي سبق عرضها، يمكن تحديد عدد من العناصر التي تمثل الأطروحة. أولاً، نشأت الراوية في بيئة دبرٍ تتسم بالقمع، ولم تعرف البحر، بوصفه رمزاً للحرية والعالم المثالي، إلا من خلال القراءة. وثانياً، إن رحلتها إلى بيروت بحثاً عن ذلك البحر قادتها إلى حقيقة مفادها أن الفضاء العام الذي كانت تتطلع إليه قد أصبح خاضعاً لمصالح اجتماعية، واقتصادية، وعسكرية في مرحلة ما بعد الاستعمار، وهو ما يتجلى في منعها من الوصول إلى الشاطئ على يد أحد أفراد السلطة. وثالثاً، فإن شعورها بالغربة وأزمة الهوية التي عاشتها يمثلان انعكاساً للحالة الجماعية للمرأة العربية المتعلمة، التي تجد نفسها عالقة بين تقاليدٍ تقيد حريتها وحدثاً لم تكتمل معالمها بعد. وتولد هذه الأطروحات الثلاث داخل الشخصية الرئيسة نقيضي أطروحة متعارضين. الأول يتمثل في إمكانية عودتها إلى اليمن وإلى حياتها السابقة، التي تصفها بأنها "صدفة بلا نوافذ"، أي قبولها بالقيود والخضوع للبنية الاجتماعية الأبوية التي شكّلت حياتها منذ الطفولة.

أما الثاني، فيتمثل في اختيارها التخلي عن هويتها السابقة بالكامل، والانضمام إلى "موكب المنفيين"، وقبولها الاغتراب باعتباره الثمن الذي ينبغي دفعه في سبيل الحرية والهوية الأصيلة.

وفي نهاية القصة، تصوغ الراوية التركيب من خلال موقفها العملي وتصريحاتها الأخيرة. فهي ترفض التراجع رغم اعتراض السلطة لها وحرمانها من الوصول إلى البحر بمعناه الحرفي، ثم تؤكد تصميمها على الحصول على "نصيبها من البحر"، وتعلن بوضوح أنها "لن أتخاذل".

وبين هذا التركيب أن الراوية لا تختار أحد النقيضين بصورة مطلقة، وإنما تؤسس موقفًا جديدًا؛ فهي تتخلى عن هويتها القديمة، وهو ما يرمز إليه قرارها بقص شعرها، لكنها في الوقت نفسه لا تنال البحر الذي كانت تبحث عنه. ومع ذلك، فإنها تحافظ على إيمانها الراسخ بأن الحرية قيمة لا بد من مواصلة النضال من أجلها، حتى وإن ظل تحقيقها مؤجلًا.

وبذلك، تكشف الجدلية المتمثلة في الأطروحة، ونقيض الأطروحة، والتركيب في القصة القصيرة لا بحر في بيروت أن التجربة الاستعمارية وما بعد الاستعمارية التي عاشتها الراوية لا تنتهي بالاستسلام أو الخضوع، وإنما تقود إلى تشكل وعي نقدي يدفعها إلى مواصلة مقاومة البنى الاجتماعية التي تحد من الحرية، والهوية، والحق في الفضاء الإنساني. ومن خلال هذا التركيب الجدلي، تؤكد عادة السمان أن نضال المجتمع اللبناني في مرحلة ما بعد الاستعمار، ولا سيما النساء المتعلمات، ليس حدثًا عابرًا أو حلاً نهائيًا، بل هو عملية جدلية متواصلة تتجدد مع استمرار أشكال الهيمنة والتهميش.